المجتمع بين ظلم الفاسق وأمانة المسلم

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 14 رجب 1434هـ الموافق لـ 24 ماي 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع :

المجتمع بين ظلم الفاسق وأمانة المسلم

معاشر المسلمين،

إنّ هذا الدّين إلى جانب كونه عقيدةً وعبادةً وشريعةً فهو أخلاقٌ وسلوكاتٌ حميدةٌ، متى غابت عن حياة النّاس انقلبت حياتهم إلى حياةٍ تعيسةٍ، يلفّها الحقد والبغضاء والظّلم والإفتراء عِوَضَ المحبّة والتّعاون على البرّ والتّقوى والأمانة، ولذلك مدح ربّنا جلّ وعلا نبيّه فقال:

" وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿4﴾ " سورة القلم.

واعلموا أنّ الظّلمات في الدّنيا والآخرة، وأنّ العبد المؤمن تحت حفظ الله وصونه ورعايته، يدافع عنه جلّ جلاله ويكرم نزله، قال سبحانه:

" إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿38﴾ " سورة الحجّ.

كما دافع عن يوسف عليه السّلام بعد ما كاد له إخوته وظلموه بإلقائه في الجبّ ومحاولتهم التّخلّص منه، وهذا ظلمٌ داخل الأسرة الواحدة.

قال سبحانه فيه:

" وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿56﴾ " سورة يوسف.

وها هو اعتراف إخوته بعد أن ظلموه وكادوا له:

" قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿91﴾ " سورة يوسف.

وهذا فرعون لعنة الله عليه يظلم بني إسرائيل ويسومهم سوء العذاب، وهذا ظلم الرّاعي لرعيّته، قال تعالى فيه:

" إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿4﴾ " سورة القصص.

ثمّ قال:

" وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿5﴾ " سورة القصص.

والله يقصّ علينا كيف منّ على بني إسرائيل بالحريّة والعتق من تسلّط فرعون وإغراقه في البحر، قال تعالى:

" فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿40﴾ " سورة القصص.

ثبت في الصّحيحين عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنهما قال: { **شكا أهل الكوفة سعدًا (يعني ابن أبي وقّاص) رضي الله عنه إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عمّارًا، فشكوه حتّى ذكروا أنّه لا يُحْسِنْ يُصَلِّي، فأرسل إليه، فقال: (يا أبا اسحٰق!، إنّ هؤلاء يزعمون أنّك لا تُحْسِنْ تُصَلِّي!)، فقال: (أمّا أنا، والله فإنّي كنت أُصلّي بهم صلاة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لا أَخْرِمُ عنها، أُصَلِّي صلاة العشاء فَأَرْكُدُ في الأُولَيَيْنِ، وأُخِفُّ في الأُخْرَيَيْنِ)، قال: (ذلك الظّن بك يا أبا اسحٰق)، وأرسل معه رجلاً – أو رجالاً – إلى الكوفة، يسأل عنه أهل الكوفة، فلم يَدَعْ مسجدًا إلاّ سأل عنه، ويُثنون معروفًا، حتّى دخل مسجد بني عَبْسٍ، فقام رجلٌ منهم، يُقَالُ له أسامة بن قَتَادَةَ، يُكَنَّى أبا سَعْدَةَ، فقال: (أمّا إذ نشدتنا، فإنّ سعدًا كان لا يسير بالسّريّة، ولا يقسم بالسّويّة، ولا يعدل في القضيّة)، قال سعد رضي الله عنه: (أما والله لأَدْعُوَنَّ بثلاثٍ: اللّهمّ إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءًا وسمعةً، فَأَطِلْ عمره، وأَطِلْ فقره، وعرِّضه للفِتَنِ).**

(اتقوا دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، رواه البخاري ومسلم.

وكان بعد ذلك إذا سُئِلَ يقول: (شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابتني دعوة سعدٍ).

قال عبد الملك بن عمير الرّاوي عن جابر بن سَمُرَة: { **فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، إنّه ليتعرّض للجواري في الطّرق فيغمزهنّ** }.

(الشّيب والعيب) كما يُقَال عندنا.

معاشر المسلمين،

إيّاكم والظّلم، إيّاكم وأكل أموال النّاس بالباطل، إيّاكم وعدم ردّ الأمانات إلى أهلها، إيّاكم والإفتراء والكذب على النّاس.

إنّ نِصْفَ النّاس أعداءٌ لمن وَلِيَ الأحكامَ هذا إن عَدَلْ

سعد رضي الله عنه شهد له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة، و لم يسلم من الكذب عليه، فكيف يسلم غيره؟، لكن انظر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه تأتيه الأخبار، فيتبيّن ويبعث من يتجسّس أمر سعدٍ، والكلّ شهد على سعدٍ بالخير، إلاّ رجالٌ من مسجد بني عَبْسٍ، فاتّهموه أنّه لا يخرج للجهاد معهم، ولا يحكم بالعدل بين المتخاصمين، ولا في الإنفاق.

ولذلك دعا عليه سعدٌ، فأصابته دعوته وانتصر الله لمظلمة سعدٍ بأن استجاب دعاءه، ولهذا قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لمعاذٍ بن جبل حينما بعثه إلى اليمن، وأمره بأن يأخذ من زكاة مالهم:

(إيّاك وكرائم أموالهم، واتّق دعوة المظلوم، فإنّه ليس بينها وبين الله حجابٌ).

إيّاكم والظّلم،

– قبل أيّامٍ يأتيني شخصٌ يشكو صهره، الّذي أراد أن يُطلّق زوجته بعد عشرة سنواتٍ لأنّها عاقرٌ، أتعترض على قَدَرِ الله؟، والله يقول:

" لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿49﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿50﴾ " سورة الشّورى.

– وآخر سكّن جدُّه أُناسًا فقراء في قطعة أرضٍ، فإذا بهم يستولون عليها.

– وثالثٌ يقول لك قدّمتُ مالي يُتاجر لي به فلانٌ، فلا رأيتُ الرّبح ولا رأس المال . . .

معاشر الإخوة الكرام،

إذا استعصى عليك استرداد حقّك، فَقُلْ: **(حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الوكيل)**، إذا ظلمك النّاس، فَقُلْ: **(حَسْبِيَ الله ونِعْمَ الوكيل اللّهمّ اقْتَصَّ لي منه).**

جيل الصّحابة رضي الله عنهم كانوا يحذرون من الظّلم ولايظلمون، فإن اعتدى عليهم أحدٌ، و لم يكن معهم بَيِّنَةٌ يدفعون بها ظلم النّاس، لجأوا إلى ربّ النّاس داعين له القصاص، ولصدقهم وصفائهم يستجيب الله دعاءهم.

فقد ثبت في الحديث المتّفق عليه **عن عروة بن الزّبير أنّ سعيد بن زيدٍ بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، خاصمته أَرْوَى بنت أَوْسٍ إلى مروان بن الحكم، وادّعت أنّه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيدٌ: (أنا كنت آخذ من أرضها شيئًا بعد الّذي سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم!؟)، قال: (ماذا سمعت من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟)، قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (من أخذ شبرًا من الأرض ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سبع أَرَضِينَ)، قال له مروان: (لا أسألك بَيِّنَةً بعد هذا)، فقال سعيد: (اللّهمّ إن كانت كاذبةً، فَاعْمِ بصرها، واقتلها في أرضها)، قال: (فما ماتت حتّى ذهب بصرها، وبينما هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ، فماتت)، وفي رواية مسلمٍ، كانت تقول: (أصابتني دعوة سعيدٍ)**.

هذا من اقتطع شبرًا من الأرض بغير حقٍّ، فإنّه يأتي يوم القيامة مطوّقًا به عنقه، نسأل الله العافية.

وعند من؟، عند جميع العالم كلّ شيءٍ محشورٌ يوم القيامة حتّى الوحوش تُحشر، حتّى الإبل والبقر حتّى الغنم، وهذا يُشَاهَدُ حاملاً هذه الأرض والعياذ بالله من سبع أرضين.

ذلك لأنّ الأرض له إلى أسفل سافلين، لأنّ الأرضين سبع طِباقًا، ولذلك قال تعالى:

" وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿21﴾ " سورة الأنعام.

ولقد كان لنا في جيل الصّحابة الكرام خير قدوةٍ في ردّ الأمانات وعدم أكل أموال النّاس بالباطل، ولذلك كانوا يوصون أولادهم بردّ الأمانات لو أصابهم مكروهٌ، كما يوصون بالأسرة خيرًا.

فقد روى البخاري عن جابرٍ بن عبد الله رضي الله عنهما، قال : **{ لَمّا حَضُرَتْ أُحُدٌ، دعاني أبي من اللّيل، فقال: (ما أراني إلاّ مقتولاً في أوّل من يُقْتَلُ من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وإنّي لا أترك بقدري أعزّ عَلَيَّ منك غير نفس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وإنّ عَلَيَّ دينًا فَاقْضِ واسْتَوْصِ بأخواتك خيرًا)؛ فأصبحنا، فكان أوّل قتيلٍ، ودَفَنْتُ معه آخر في قبره، ثمّ لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستّة أشهرٍ، فإذا هو كيوم وَضَعْتُهُ غير أُذُنِهِ، فجعلته في قبرٍ على حِدَةٍ }**.

وهذا هو أب جابر وهو عبد الله بن حَرَامٍ رضي الله عنهما، ولقد وفّى جابرٌ بوصيّة أبيه، فأدّى الدَّيْنَ إلى أهله، واستوصى بأخواته خيرًا، فتزوّج ثَـــيِّـــبًا.

وفي هذا الحديث كرامةٌ لأبي جابر رضي الله عنه، حيث صدق الله رؤياه بأن كان أوّل قتيلٍ في أُحُدٍ، و لم تأكل منه الأرض، وقد يمنع الله الأرض من أكل جثّة فلانٍ كرامةً، ذلك أنّ أجساد الأنبياء هي وحدها الّتي لا تأكلها الأرض.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

أوصي نفسي وإياكم معاشر الإخوة الكرام، بتقوى الله وردّ المظالم إلى أهلها فإنّ الظّلم ظلماتٌ في الدّنيا والآخرة.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.